



متابعات لا تعرف الانجم

بقلم محمد جبريل

امهله العمدة بكل صبره .. لكن حوادث السطو تعددت ..
اصبح الامن اسطورة . استدعيته ، فلم يملا عيني . صفته وهددته ،
فخدعني . جردت حملة لتفتيش بيته . ضبط السلاح في اكوام
الحطب ، فصدر الامر باعتقاله .

★ ★

قال سلامة حسبو ، زميل ابراهيم الصبروتي :

الخلاء اصلح الاماكن للفرار من وجه السلطة . هكذا علمنا
الصبروتي . غيظ القصب تحيط به الشرطة ، وتنسل . يلتقي فكا
الكماشة دون ان ندري . المينان الحدادا النظر تبيينان القادم من
ابعد مكان . روى لنا - في هداة المساء ، ودخان التبغ امامنا يطرد
الناموس - عن والده الذي تركه طفلا . السمارة . اسم بلا اصل .
الاصل عزة الصبروتي . السلطة واهل العمدة بدلا الاسم . كانت
الجريمة ابعد من ان تطوف بخاطره . عالمه الجسر وشط الترعة
والطابة والعمل - احيانا - في غيظ والده ..

قال له العمدة :

- اليد البطالة نجسة ..
- ما يكلفني به ابي افعله ..
- اريدك ان تعمل معي ..
- لا احب شغل الحكومة ..
- وهل جاءت سيرة الحكومة .. اريد ان تعمل خفيرا لأرضي ..
- ربما سافرت السنبلوين وعملت هناك ..
- ترفض العمل معي يا ابن نفيسة !! ..
سحقته الاهانة . قتلته . اضاعت الكلمة اعواما مليئة بالحقد

والقضب والتحدي . طق الشر في عينيه :

- ارفض ان اعمل معك يا عمدة ..

توقع عيارا ناريا يترصده في الظلام . احتاط لقضب العمدة ،
فاختار البقاء في البيت قبل ان يحل الفروب . انفاس المباحث تردت
في الفرز والمصاطب والبيوت والجسور . بشر التحريات مجدبة . ما
اسهل ان يفزل نسيج الماضي من خيوط الاكاذيب . نفيسة التي كانت
اما لطفل في شهادة ميلاد صارت غازية . الوالد الترحيلة اصبح
قوادا . الفدادين الثلاثة هي الثمرة التي يسمى الثعلب لالتهامها .
البندقية اللقيطة وجدت في داخل الحطب . امر الاعتقال يعانق
المصادرة . تفقد الارض صلابتها . تعاني . تهتز . تميد . بدأت
الحكاية بكذبة ..

قال الحاج سليمان عبد الواحد ، عمدة قرية السمارة ، التابعة
لمركز السنبلوين :

لا ادري - على وجه التحديد - متى كانت البداية . السمارة
قريني . بنى ابي بيتها الاول . العائلات الثلاث : صفرائه ، والنخيلي ،
وعبد الواحد ، لا يجاوز عدد افرادها المائة . الترحيلة قدمت من
ديرب نجم وخفير شهاب الدين وكفر سعد . القلة القليلة بدأت رحلتها
من الصعيد . ربما اصفون المطاعة او ابنود . الزمام جاوز الدقهلية .
لنا - الان - خمسمائة فدان ، نعب لها الجسر داخل الشرقية ..

المؤكد ان ابن نفيسة ليس من اهل السمارة . ربما جاء مع
مهاجري الشرقية الذين فروا من وجه السلطة ، ووجدوا في قريننا
الجرية والامان . ويزعم الشيخ طلحاي ، ان اعوامه التي جاوزت
المائة ، اتاحت له ان يشهد ابن نفيسة وهو طفل بعد ، يدخل السى
السمارة ذات صباح ، مع ابوين من الترحيلة ، قالا انهما سارا ثلاثة
ايام ، من قرية غير معلومة . حتى زوجته ليست من ابناة قريننا .
اسمها ولقب عائلتها لا يعرفهما احد .. لكن سحنتها تدل على صعيدية
اهلها . نفيسة هو اسم الام الذي اشتهر به . الاب مات في طفولتنا
دون ان نعرف عن احواله شيئا ..

لا ادري متى كانت البداية . الزروع قلعت في كل الفيضان ما
عدا فدادينه الثلاثة . عرضت عليه العمل خفيرا لايقاف جرائمه . الامر
جاوز الكوك لما فرض اتاوة على عائلة الدسوقي . سايرته . اخلصت
به النصيح . ابي واستغنى . كون - مع الاشرار - عصابة . اكره ان
افقد انسانا مستقبلي . لكن الشجرة المريضة تطلب التقليم حتى
تسترد عافيتها . طالبت باعتقاله ، خوفا عليه من نفسه ..

★ ★

قال البكاشي عبد اللطيف الديماطي ، مامور مركز السنبلوين:
ابن المرة اولى به اسمها . ابن نفيسة هو . الماضي غير محدد
اللامح .. لكن الفدادين الثلاثة خصبت بالجريمة . تزوج العهسر
بالقوادة فانجبا الضياع الكامل . ابراهيم محمد حسنين الصبروتي .
انهى المرحلة الانزامية من التعليم . اشتغل كاتباً لدى المعلم عباس
الكحلحلا تاجر النيفاتورة بالسنبلوين . لعدم الامانة استغنى الرجل عن
خدماته . البطالة تفوي بالجريمة . السمارة تنكرها . اهلها طيبون
بسطاء ، برغم تفاوت النشأة والبيئة . ربما عائلة اصلها من الصعيد ،
واخرى من شمال الدلتا ، وثالثة من براري الفيوم . لقمة العيش
شغلت الجميع فلا يعينهم سواها ..

قال الحاج سليمان عبد الواحد :

القرية اسرة واحدة ، رغم تعدد العائلات .. لكن الفقسمة الواحدة ربما تقضي على غيط باكملة . الشباب التحق بالترحيلة ، ثم اخترته - لفتوته الزائدة - خفيرا لعدادين العائلة . رفض اللثيم ، واختار طريق الجريمة . بلغت الحوادث حدا زائدا . ابافت المديرية وطلبت اعتقاله . مضى اقل من شهر قبل ان يظهر على الجسر ، وفي يده البندقية ..

✱ ✱

قال الحاج سليمان عبد الواحد :

غرسنا في طريقه الاعين والاذان . احتطنا لجريمته الاولى . ادركنا الهدف ، فوزعنا الخفراء على سراي العماوي ببريقين . تشمع الخطر ، لكنه اصر على التحدي . سرق من حظيرة السراي - جاموسيتين . زاد ، فنهب - في الليلة ذاتها - دكان صفرائه الكبير بالسنبلاوين . اغراه السلاح والاعوان . فرض الاناوات على الكبير والصغير . قتل لاتفه الاسباب . قلع الزروع . خطف الماشية . سرق حتى بيوت الترحيلة . لم يجعل خاطرا لشيخ او ولية . وعدته بالمال ، ورجوته ان يتوب . قال في اصرار عجيب :

- هذا طريقي ..

✱ ✱

قال البكباشي عبداللطيف الديمياطي :

الله حي! .. الله حي! ..

تصاعد النداء . تعالى . تشابك . امتد . لا اذكر من كنت احادته . المكتب - دائما - يسفل . ادركت اللعبة . اغلقت باب العرفة ، ورفعت من صوتي . لو اني طالبت بالصمت فربما قامت خناقة . ذلك - بالقطع - ما كان ينشده . حلقة الذكر باب جهنمي الى الهروب . الداهية يفلت من خرم الابرة . علت الصفاير - فجأة . اشبارات الايدي الى الدائرة الواسعة في جدار العنبر . ضبط المثقاب الذي لا اعرف كيف سربه . اسم الله داري لعبة الشيطان . صرخت : عاوز تهرب يا ابن نفيسة؟! . امرت ، فنقله الحراس الى سجن البندر ، واسترحت من شره ..

✱ ✱

قال سلامة حسبو :

ضايقته افعال الديمياطي . تحاشى مواجهته ، وسلط العساكر عليه . هز كتفيه لكل شيء . بادل العمدة تسميته فجعل امه شرموطة . العساكر ينادونه ياريس . العنبر يرقد في حضن فتوته . الخلان اوفياء .. لكن الجوع يحوم في سمائه القران . لم يقبض عليه احد ، فلماذا التباهي؟! . عزبة مدير المديرية ، وحدها ، خارج المنصورة . هرول الرجل - غير مصدق - الى الهلاك الذي القى سلاحه . اقتقد يده في راحة يد الصبروتي الضخمة . لم يحاول ان يتبين ملامحه :

- تمثيت لو ان لي شهرتك يا صبروتي! ..

الشرط الذي تعهد المدير بالتزامه قبل التسليم : لا سجن انفرادي لا تعذيب ، لا شتائم ، لا اهانات .. لماذا التباهي بالاشياء اذن؟! . اعد للمأمور مفرزا : ادخلنا المثقاب ، واقمنا الذكر ، واتسع الثقب حتى جاوز جسد الانسان . اشار ، فصرخنا . وجه الرجل مشعل الليمونة :

- هل اذيتك؟! ..

- وهل تستطيع؟! ..

- فلماذا؟! ..

- اريد ان اغادر السجن حالا ..

- تضيئني ..

- سلمت نفسي ولا افكر في الهرب .. حالك مايل وافكر فسي سجن المديرية .. في المساء ، دارت كعوب البنادق ، وانهايت الشتائم واستند الديمياطي خصره الى يده في الاطية ، يدعو الرجال - ان كان ثمة رجال - الى التقدم . كان الصبروتي قد غادرنا الى سجن المديرية ..

✱ ✱

قال سلامة حسبو :

الغريب الغريب ، السر الذي يجله الجميع ، ان الصبروتي لم يسرق فقيرا ، ولم يقتل احدا . رفض تنفيذ عملية ناجحة ، لانه سمع بكاء طفل من داخل البيت الذي نعد لدخوله . اقتصر سرقاته على الاغنياء . الرجل يترك الثور يهوت دون ان يفكر في توزيع لحمه على الفلاحين ، فلماذا؟! .. السلاح في ايدينا لجرد التهويش . الشائعات والحكايات الرهيبة تكفلت بقتل المئات . طرد يحيي البدوي من بيننا لانه اطلق - ليلة - عيارا في الهواء ، قال :

- لا احب التهوير .. ربما اطلقت عيارك الثاني في المياني ..

الادهم صديقه ، وان لم يعرف اليه شخصا . انكر الخط وعود وسليم . سفاحون يقتلون ربما بلا داع . لم تنفذهم الاف الافدنة من غيطان القصب والذرة ، ولم ينقذهم الجبل ..

✱ ✱

قال الحاج سليمان عبدالواحد :

دوخ ابن نفيسة الامن وقتنا طويلا . تعدد الاعتقال والفرار . حاولت ان ارشده .. لكن الجريمة اصبحت دما يسري في عروقه . رفضته القرية . انكره الاهل والاصدقاء . ترصد له البوليسي في ماكنة ميساه داخل عربة اباطة ، كان يقضي بجوارها لياليه . اخترقت الرصاصة رأسه ، فلم يصدر آهة . تحدث الاهالي عن مصرعه زمنا . قيلت حقائق ، وقيلت اكاذيب .. ثم ماتت السيرة اللعينة ..

✱ ✱

قال البكباشي عبداللطيف الديمياطي :

لم يعد من المفروض ان يهمني امر ابن نفيسة ولا جرائمه . النقل المفاجيء الى سوهاج وضعني في بؤرة التحدي . ابن المرة : هل انتصر علي؟! .. تابعت قصته . سألت . تقصيت . اجاد الهروب من المعتقلات ، فاودع سجن طرة . اعوانه اختفوا او ماتوا . تمضي به السنوات ، بلا امل ..

✱ ✱

قال سلامة حسبو :

اتقيه الهروب من قرية الى اخرى . ضايقته مهانة الاهل والاصدقاء . صحب البوليس زوجته وابناءه وكل جيرانه الى البندر . قضوا اياما تعرضوا خلالها للابداء والتعذيب . لم يكن الاستدلال على مكانه هو المطلوب . جلس ذات اصيل على مقهى الرفاعي . قال :

- زهدت يا اصحاب .. وتؤلني ظروف الاهل ..

افترقنا على خير . سافر الى الحجاز ، وعاد صاحب طريقة . اشتريت فدائين في ديرب نجم ، افلحها ، ولا احاول ان افاه . قال : - كاننا لم نلتق ابدا ..

الايام الشجاعة صارت ماضيا . الشيوخ يعيدون ذكريات ما قبل عشرين عاما الى الازمان ، والشباب يتحدى صاحبه : يعني عامل ابن نفيسة! .. الشبان الذين لم يشهدوا الاحداث بانفسهم يروون تحذيرات الجسديات : ناموا احسن يجيلكوا ابن نفيسة! . علمت - اخيرا - انه مات . اقام له الغلابة في السمارة ضريحا . نسبوه الى طريقته ، فصار من الاولياء .

((محمد جبريل))